

الفصل الثالث

البذل والإنفاق في الإسلام

ويشتمل على تمهيد والمباحث الآتية :

- ١_ البذل والإنفاق في القرآن الكريم.
- ٢_ الجود والكرم في السنة النبوية.
- ٣_ الجود والكرم عند الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم .
- ٤_ ما جاء به الرسول ﷺ والصحابة والتابعون والأولياء والصالحون .

تمهيد

الجود والكرم قيمة عليا في الإسلام

إن قول الله عز وجل يعتبر هو الأساس والمصدر الذي اعتمدناه في دخولنا إلى هذا الموضوع. فقد أشارت الآية القرآنية ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. إن الإنفاق له دلائله المعروفة على الفرد المنفق وعلى المجتمع أيضاً. وأما بالنسبة لآثاره على الفرد المنفق فإنه يطهره من أمراض البخل والشح والطمع ويجعله بذلك إنساناً يحس بحاجة الآخرين، وأن الله تفضل عليه بأن جعل هذا المال في يده، فلربما كان أخوه محتاجاً إليه وكان عاجزاً عن الكسب والآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْبَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أي هو غني عن العباد وعبادتهم، كريم أي كريم في نفسه وإن لم يعبد أحد فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد وعظمة الله سبحانه وتعالى ليست مقتصرة على أحد، هذه الآيات وما جاء في الآيات الأخرى وما جسده الرسول الكريم في صفاته وسلوكه من قول وفعل، فقد هذه الفضيلة أبو السجية بمكانه كبيره في الإسلام على الرغم من أنها من الفضائل التي كانت عند العرب قبل الإسلام لكن الدين الإسلامي أخذ بهذه الفضيلة وعمقها ورسخها وسنها كما جاء من خلال الآيات القرآنية وأقوال وأفعال الرسول وأصحابه الكرام حيث تروي لنا الأحاديث والقصص والأقوال المأثورة عن الخلفاء الراشدين وكرمهم وجودهم وجعل كل أموالهم وأموالهم في خدمه نشر الدعوة الإسلامية والقرآن الكريم يدعو الإنسان المسلم المؤمن إلى أن يكون منفقاً في أمواله لذا فإن أخلاق المسلمين كانت عالية جداً وإن الدعوة إلى الأخلاق تعد هي الأساس في بناء المجتمع السليم الصحيح.

قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

وإذ يقول القول المشهور (الأخلاق أساس كل مجتمع) ومن أجل ذلك فإن كل الرسائل السماوية وجميع الأنبياء كانوا يدعون إلى التحلي بالأخلاق الكريمة وإلى الإنفاق ومساعدة المحتاجين ابتغاء مرضاة الله وجاء القرآن خاتمة الرسائل السماوية مشدداً على ذلك متمسكاً بها لأنها تحقق الفوز العظيم والنعيم المقيم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

المبحث الأول

الجود والكرم في القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم دستور المسلمين الذي نزل على الرسول الكريم محمد ﷺ، وقد وردت فيه آيات تتحدث عن منزلة الإنسان المسلم المؤمن الواعي والمتمسك بالأخلاق الكريمة .

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَبَيْنَ الْأُنَاسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إن التفسير^(١) لهذه الآية أن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة أثر ذلك في نفوس قسم من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك حيث أن المطلوب إنما هو طاعة الله عز وجل وتطبيق أوامره والتوجه مثلما يريد واتباع الشرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل وليس في قصد التوجه إلى جهة ممن المشرق والمغرب بر ولا طاعة إن لم يكن على أمر الله وشرعه، حيث كانت اليهود تقبل قبل المغرب والنصارى تقبل قبل المشرق فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾... ولكن البر هو ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل من الفرائض وأنواع البر الأخرى من توحيد الله والإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتب التي أنزلها الله تعالى على النبيين من أول نبي إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي أخرجه وهو محب له راغب فيه كما قال في ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف . وقد ثبت في الصحيحين

(١) تفسير القرآن - لابن كثير - ج ١ ص ٢١٣.

عن أبي هريرة مرفوعاً «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر»^(١) وكما روى الحاكم في مستدركة^(٢) عن ابن مسعود عن الرسول ﷺ وهو رغم حب الإنسان إلى المال والحاجة إليه لكن الشرع السماوي يأمر الإنسان أن يتصدق الرجل المؤمن على أقربائه المحتاجين واليتامى الذين لا كاسب لهم وهم صغار ضعفاء دون البلوغ والقدرة على التكسب والمساكين الذين ليس لديهم ما يكفيهم في قوتهم وملبسهم ومسكنهم وابن السبيل وهو المسافر المجتاز الذي نفذت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده والسائلين وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات. عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال رسول الله ﷺ «للسائل حق وإن جاء على فرس»^(٣) وفي الرقاب وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدون به مكاتبتهم.

قال الله تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

ومعنى الآية يسأل المسلمون النبي محمد ﷺ كيف ينفقون؟ كما قال ابن عباس ومجاهد فبين لهم تعالى ذلك فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي اصرفوها في هذه الوجوه الوالدين والإخوة والأدنى ثم الأدنى واليتامى والمساكين وابن السبيل^(٤).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهذه^(٥) الآية مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته أي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال سعيد بن جبير: يعني في طاعة الله وقال مكحول:

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩) ومسلم (١٠٣٢).

(٢) ٢٩٩/٢.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٦٥).

(٤) تفسير القرآن - لابن كثير - ج ١ ص ٢٥٩.

(٥) تفسير القرآن - لابن كثير - ج ١ ص ٣٢٤.

يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: الجهاد والحج يضاعف الدرهم فيها إلى سبعمائة ضعف. ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَائِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ ثَائِقَةٌ حَبَّةٌ﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى إن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة .

حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن العسكري البزار أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب أخبرنا أبي عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر لما نزلت هذه الآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

قال النبي ﷺ: «رب زد أمتي» قال فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال: «رب زد أمتي» قال فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِقُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

وقد رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه^(١) عن حاجب بن أركين عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز المقرئ عن أبي إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكرة وقوله ها هنا ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي بحسب إخلاصه في عمله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي فضله واسع كثيراً أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده.

قال تعالى :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْطِئُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

في قوله تعالى^(٢) أنفاً يحث تعالى عباده على الإنفاق في سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع، وفي حديث النزول أنه يقول تعالى: «من

(١) صحيح ابن حبان (٤٦٤٨).

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير - ج ١ ص ٣٠٦ .

يقرض غير عديم ولا ظلوم» وقد قال ابن أبي حاتم^(١) : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله إن الله عز وجل يريد منا القرض ؟ قال : (نعم يا أبا الدحداح) قال : أرني يدك يا رسول الله ، قال : فناوله يده ، فقال : فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي ، قال : وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها ، قال فجاء أبو الدحداح فنادها يا أم الدحداح قالت : لبيك ، قال : أخرجني فقد أقرضته ربي عز وجل .

وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه وقوله (قرضا حسنا) روي عن عمر رضي الله عنه وغيره من السلف هو النفقة في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتقديس له .

وقوله : «فيضاعفه له أضعافا كثيرة» كما قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

حدثنا^(٢) يزيد أخبرنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي ، قال : أتيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت له إنه بلغني أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة ، قال : وما عجبك من ذلك لقد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعه حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال : لما نزلت ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ﴾ إلى آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رب زد أمتي» فنزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال : «رب زد أمتي» فنزلت ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣٠) .

(٢) تفسير القرآن - لأبن كثير - ج ١ ص ٣٠٧

وروى ابن أبي حاتم^(١) أيضاً عن كعب الأحبار أنه جاء رجل فقال: إني سمعت رجلاً يقول من قرأ «قل هو الله أحد» مرة واحدة بنى الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة أفأصدق ذلك؟ قال: نعم أو عجبت من ذلك؟ قال: نعم وعشرين ألف ألف وثلاثين ألف ألف وما يحصي ذلك إلا الله ثم قرأ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ فالكثير من الله لا يحصى وقوله ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ أي أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيّق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسعه على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك ﴿واليه ترجعون﴾ أي يوم القيامة.

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٢-٢٦٤].

هنا يمدح الله تعالى ويشني على الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منّا على من أعطوه لا قولاً ولا فعلاً (ولا أذى) أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً يحيطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الأوفى فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة ولا يحزنون.

(قول معروف): يعني هو الكلمة الطيبة والدعاء للمسلم من عفو ومغفرة عن ظلم قولي أو فعلي (خير من صدقة يتبعها أذى) أي أن المسلم يصفح عن أخيه ويغفر له ويتسامح معه بالقول الطيب والكلام الحسن أفضل من الصدقة التي يعقبها مكروه يلحق بالمتصدق عليه، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ لأن المرائي بإنفاقه (الذي يتبع نفقته منّا وأذى) كمثل الصخر الأملس وهو الصفا

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٣٧).

الذي عليه قليل من التراب فإن أصابه وابل من المطر الشديد أزاح عنه التراب وأبان عن حقيقته وهو الحجر الملس أو الصفا الذي لا فائدة منه^(١).

وقال الله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله عنهم في ذلك (وتثبينا من أنفسهم) أي تصديقاً وقيناً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن : أي يتثبتون أين يضعون صدقاتهم ، وقوله ﴿كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ﴾ أي كمثل بستان بريوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجري فيه الأنهار .

قال ابن جرير رحمه الله : وفي الربوة ثلاث لغات بضم الراء في قراءة أهل الحجاز والمدينة والعراق ، وفتحها في قراءة بعض أهل الشام والكوفة ، ويقال إنها لغة تميم وكسر الراء يقال إنها قراءة ابن عباس.

وقوله تعالى

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد كما تقدم ﴿فَاتَتْ أَكْلَهَا﴾ أي أعطت ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي مقارنة بالنسبة إلى غيرها من الجنان (فإن لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك : هو الرذاذ اللين من المطر . أي إن هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدا لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأياما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي لا يخفى عليه من أعمال العباد شيء .

وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٢٥.

حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

إن^(١) الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالإنفاق أي التصدق من طيبات ما رزقهم الله من الأموال والذهب والفضة والثمار والزروع التي أنبتها الله لهم من الأرض أي من أطيب الأموال وأجودها نهاهم عن التصدق برذالة الأموال وأدناها وأخبثها لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ لأن الله تعالى لا يقبل منكم شيئاً تكرهونه وتجعلونه صدقة . وأنفقوا وتصدقوا بالأموال الحلال ولا تصدقوا بالأموال التي أصلها حرام .

إن الآية أنفاً نزلت في الأنصار حيث كانت أيام جني الثمر وقطعه لأن بعض الأنصار كان ينفق ويتصدق من التمر الرديء وهو (الحشف) على فقراء المسلمين أو لمن هو في المسجد، وهذا الإنفاق أو التصدق لا يرضي الله تعالى فأنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا﴾ قال ابن حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت فينا، وكنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه بالمسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع فضرب القنو بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون بالخير يأتي بالقنو الحشف والشيص قد انكسر ويعلقه بالمسجد . فنزلت الآية تنهى عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

وقوله تعالى :

﴿وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ ^(٢) يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه . قال: فذلك قوله ﴿إِلَّا أَنْ

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٢٧ .

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٢٨ - ص ٣٢٩ .

تَقْمِضُوا فِيهِ ﴿﴾ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه .

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها . وما ذاك إلا أن يساوي الغني الفقير كقوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ﴾ وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه ، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافاً كثيرة ، من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال ابن أبي حاتم^(١) : حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب ، عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إن للشيطان لمة بآدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» .

ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ ومعنى قوله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشيه الإملاق يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الأخلاق قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي في مقابلة ما أمركم به الشيطان بالفحشاء (وفضلاً) أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨١٠) .

وقوله تعالى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
﴿٧٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا لَأَنْفَقْتُمْ فَنِيعَماً هِيَ وَلَئِنْ تَخَفَوْهَا وَتَوَتُّوْهَا أَلْفُقَرَّةٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧٠-٢٧١].

يخبر^(١) الله تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات والنفقات والمنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال : ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته.

وقوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ تَخَفَوْهَا وَتَوَتُّوْهَا أَلْفُقَرَّةٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار ، قالت يا رب : فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم الريح ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله»^(٢).
وقوله ﴿يُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سراً يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرئ يكفر بالجزم عطفاً على محل جواب الشرط وهو قوله تعالى : ﴿فَنِيعَماً هِيَ﴾ كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه .

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج ١ ص ٣٣٠ .

(٢) مسند أحمد (١٢٢٥٣) .

قال تعالى :

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٧﴾﴾
لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٢٧٢-٢٧٤﴾.

قال أبو عبد الرحمن النسائي^(١) أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا
الفرابي حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه
الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾... الآية. وقال ابن أبي حاتم
أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد بن عبد الرحمن يعني الدشتكي حدثني أبي عن
أبيه حدثنا أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن
النبي ﷺ أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سأل من كل دين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ﴾ كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾
وقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قال الحسن البصري: نفقة المؤمن لنفسه
ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله. وقال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت
لوجه الله تعالى فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن، وحاصله أن المتصدق إذا
تصدق ابتغاء وجه الله تعالى فقد وقع أجره على الله ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب
الْبِرَّ أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده، ومستند هذا تمام الآية ﴿وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

(١) السنن الكبرى (١١٠٥٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٥٣).

والحديث^(١) المخرج في الصحيحين من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ (قال رجل : لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية. فقال : اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غني . قال اللهم لك الحمد على غني لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على سارق. فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فأتى فقيل له : أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها تستعفف بها عن زنا ، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق يستعفف بها عن سرقة)^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني المهاجرين الذين انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني السفر للتسبب في طلب المعاش والضرب في الأرض هو السفر. وقوله : ﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ تَعَفُّفٍ﴾ أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم . وقوله : ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم كما قال الله تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الْنَّاسُ إِلَّا حَافًا﴾ أي لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة . قال رسول الله ﷺ : «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِثْرِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . هذا^(٤) مدح من الله تعالى للمنفقين في

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٤١١) .

(٤) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٣٣ .

سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل ونهار، والأحوال من سر وجهار، حتى أن النفقة على الأهل تدخل في ذلك، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال: سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْأَنكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في أصحاب الخيل^(١).

وقال حنش الصنعاني: عن ابن شهاب عن ابن عباس قال: هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم فأنفق درهما ليلاً وأنفق درهماً نهاراً ودرهماً سراً ودرهماً علانية فنزلت الآية ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْأَنكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف، لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

قال تعالى:

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ يَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨٠-٢٨١].

يأمر الله تعالى^(٢) بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه وقت الدين إما أن تقضي وإما أن تربى، ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال: ﴿وَأَنْ يَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي وإن تركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين، وقد وردت الأحاديث عن أبي أمامة أسعد بن زرارة. قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن شعيب المرجاني حدثنا يحيى بن حكيم

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨٠).

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٣٨.

المقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبدالله بن أبي زياد حدثني عاصم بن عبيد الله عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا له فليسر على معسر أو ليضع عنه»^(١).

وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري قال أحمد: حدثنا حماد بن سلمه أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن محمد بن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال: نعم هو في البيت يأكل خزيرة فناداه فقال يا فلان اخرج فقد أخبرتك أنك هاهنا فخرج إليه فقال: ما يغيبك عني؟ فقال: إني معسر وليس عندي شيء. قال: آله إنك معسر؟ قال: نعم، فبكى أبو قتادة ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»^(٢).

وعن حذيفة بن اليمان قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الأحنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال: ماذا عملت لي في الدنيا؟ فقال: ما عملت لك يا رب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها. قالها ثلاث مرات. قال العبد عند آخرها: يا رب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً أباع الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر. قال: فيقول الله عز وجل أنا أحق من ييسر ادخل الجنة». وقد أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه من طرق ربعي بن حراش^(٣).

(١) المعجم الكبير (٨٩٩).

(٢) مسند أحمد (٢٢٥٥٩)، وصحيح مسلم (١٥٦٣) بنحوه.

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧٧) وصحيح مسلم (١٥٦٠) وسنن ابن ماجه (٢٤٢٠) بنحوه.

عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربيعي قال حدثني أبو اليسر أن رسول الله قال: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(١) وقد أخرجه مسلم في صحيحه^(٢) من وجه آخر من حديث عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت قال: خرجت وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبو اليسر صاحب رسول الله ﷺ ومعه غلام له معه ضمامة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعاصري وعلى غلامه بردة ومعاصري فقال له أبي: يا عم إنني أرى على وجهك سفعة من غضب قال: أجل كان لي على فلان بن فلان الرامي مال فأتيت أهله فسلمت فقلت: أثم هو؟ قالوا: لا، فخرج عليّ ابن له جفر فقلت: أين أبوك؟ فقال: سمع صوتك فدخل أريكة أُمي، فقلت: اخرج إليّ فقد علمت أين أنت، فخرج فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال أنا والله أحدثك ولا أكذبك خشيت والله أن أحدثك فأكذبك أو أعدك فأخلفك وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنتُ والله معسراً. قال: قلت الله! قال: قلت الله؟ الله ثم قال: فأتى بصحيفته فمحاها بيده ثم قال: فإن وجدت قضاءً فأقضني وإلا فأنت في حل فأشهد أبصر عينايا هاتان - ووضع أصبعيه على عينيه - وسمع أذناي هاتان ووعاه قلبي - وأشار إلى نياط قلبه - رسول الله ﷺ وهو يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(٣).

ثم قال الله تعالى^(٤) يعظ عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر ويحذرهم عقوبته فقال: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

(١) مسند أحمد (١٥٥٢١).

(٢) صحيح مسلم (٣٠٠٦).

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٤٠.

(٤) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٤١.

وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم فقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ... وعاش النبي بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم توفي .

وروى الضحاك والعمري عن ابن عباس وروى الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ... فكان بين نزولها وموت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً قال الله تعالى :

﴿الصَّابِرِينَ وَالْمَنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧] .

(الصابرين)^(١) أي في قيامهم بالطاعات وترك المحرمات . (والصادقين) فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة . (والقانتين) والقنوت الطاعة والخضوع . (والمنفقين) الذين ينفقون من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات وصلة الأرحام والقربات وسد الخلات ومواساة ذوي الحاجة من المساكين والسائلين وابن السبيل . (والمستغفرين بالأسحار) وهذا يدل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار .

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] .

يخبر الله تعالى عباده أنه يوم القيامة تجد كل نفس ما فعلت من خير محضراً لها لكي تسر به وتفرح ، إلا أن الكرم والجود والسخاء من أفعال الخير فلتبادر لها نفس المسلم . وإذا فعلت الشر وكنزت الذهب والفضة والأموال ولم تنفق منها سوف تعاقب عليه وتكون تلك وبالا عليك تكوى بها الوجوه والجباه .

قال تعالى :

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْهتِكُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٦١ .

﴿لَنْ نَنَالُوا الْآلِرَّ﴾^(١) يعني الجنة أي لن يدخل العباد الجنة حتى ينفقوا مما يحبون في حياتهم من أموال وعقارات وأثمار وزروع وغيرها .

قال أبو طلحة : يا رسول الله إن الله يقول ﴿لَنْ نَنَالُوا الْآلِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ : «بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح» .

وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة : افعل يا رسول الله فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٢) .

وقال تعالى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَيْتِ وَالْغَلِيطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٤] .

إن هذه الجنة^(٣) التي وصفها الله عز وجل بعرض السماوات والأرض أعدت للطائعين الله وللذين ينفقون في الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وفي جميع الأحوال في السراء والضراء وفي الليل والنهار سرا وعلانية، فالإنفاق في مرضاة الله تعالى والإحسان إلى خلقه من أقربائهم وغيرهم بكل أنواع البر .

﴿وَالْكُظَيْتِ وَالْغَلِيطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه أي كتموه فلم يعرف أحد بهم والذين يعفون عن أساء إليهم .

قال تعالى :

﴿وَإِذَا حَصَرَ الْقَسَمَةَ أُولُوفُ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء : ٨] . قال^(٤) سعيد بن جبير وقتادة : كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج ١ ص ٣٨٩ .

(٢) صحيح البخاري (٥٦١١)، وصحيح مسلم (٩٩٨) .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٤١٣ .

(٤) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٤٦٥ .

وكانوا لا يورثون النساء ولا الأطفال شيئاً، فأنزل الله الآية ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ . أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدل به إلى الميت من قرابة أو زوجية أو ولاء فإنه لحمة كلحمة النسب. وروى ابن مردويه من طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : أتت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء فأنزل الله تعالى الآية ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ . وقوله : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ وقيل المراد إذا حضر قسمة الميراث ذوو القربى ممن ليس بوارث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ فليرضخ لهم من التركة نصيب، وإن ذلك كان واجباً في ابتداء الإسلام وقيل يستحب . واختلفوا هل هو منسوخ أم لا على قولين فقال البخاري^(١) حدثنا أحمد بن حميد أخبرنا عبد الله الأشجعي عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال هي محكمة وليست بمنسوخة . تابعه سعيد عن ابن عباس . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : هي قائمة يعمل بها . وقال الثوري عن ابن أبي نجیح عن مجاهد في هذه الآية قال : هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالية والشعبي والحسن . وقال ابن سيرين وسعيد بن جبیر ومكحول وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيى بن يعمر إنها واجبة، وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسماعيل بن علي عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين قال : ولي عبيدة وصية فأمر بشاة فذبحت فأطعم أصحاب هذه الآية . فقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي . وقال مالك فيما يروى عنه في التفسير من جزء مجموع عن الزهري أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله . وقال الزهري هي محكمة . وقال مالك عن عبد الكريم عن مجاهد قال : هي حق واجب ما طابت به الأنفس .

(١) صحيح البخاري (٤٥٧٦).

قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٧-٣٩].

يقول^(١) الله تعالى ذاماً الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر
الوالدين والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب
وابن السبيل وما ملكت أيمانهم من الأرقاء ولا يدفعون حق الله ويأمرون الناس بالبخل .
﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ﴾ يقول الله تعالى وأي شيء
يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان
بالله رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن العمل وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه
التي يحبها الله ويرضاها وهو العليم بكل أعمال الإنسان الصالحة والفاصلة .

قال الله تعالى :

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ
اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

يخبر الله تعالى عن الفرق بين القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر وبين المؤمنين
المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم في سبيل نشر راية الإسلام وإعلاء كلمة
الله ، فهنا يستطيع المؤمن الجواد السخي أن يجاهد وينفق أمواله في سبيل الحق إذا لم
يستطع الجهاد بنفسه لضرر ما .

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٥٠٨ .

وقال تعالى :

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر الله عز وجل أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر» وهو ذكر الله تسبيحا وتحميذا وتوحيدا واستغفاراً وغيرها من الكلام الذي يربط لسان المؤمن وفمه بذكر الله والإصلاح بين الناس إذا فسدت العلاقة . وكذلك الإنفاق والتصدق على المحتاجين ابتغاء وجه الله . والنهي عن المنكر .

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدَرِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

الصدقات تعطى للفقراء أولاً لشدة حاجتهم وفاقتهم للمساعدة، وأما المساكين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان» قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يجد غني يغنيه ، ولا يفتن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً »^(١) وأما العاملون عليها فهم الجبابة والسعاة يستحقون منها قسطاً .

والمؤلفة قلوبهم هم حديثو العهد بالإسلام .

وفي الرقاب هم المكاتبون كما روي عن الحسن البصري ومقاتل ابن حيان وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز والنخعي والزهري .

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٩) و مسلم (١٠٣٩).

وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم .

قال تعالى :

﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

هنا يذكر الله تعالى ذنب المنافقين ويبين ثناءه على المؤمنين وما لهم في الآخرة من حسن الحال ومآل النعمة التي أعدت لهم من الدرجات العلى في جنات الفردوس بسبب جهادهم في سبيل الله بالأموال التي أنفقوها ابتغاء مرضاة الله وجهادهم في سبيل إعلاء كلمة الله .

قال تعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ من أموال المسلمين صدقة تطهرهم وتزكيهم حيث أن الأموال أدران وذنوب كما للنفس البشرية أدران وذنوب، وهذه الصدقات تزكي وتطهر الأموال والنفس وعليه فإن الاستمرار في إعطاء الصدقات والإنفاق من الأموال يجعل النفس المسلمة وأموالها صالحة وزكية .

وقال تعالى :

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِعَجْرِزِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١] .

يقول^(٢) تعالى : ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي قليلاً ولا كثيراً ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم جزاء أوفى على أحسن ما يكون. وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٤١٤ .

عظيم، وذلك لأنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة وذلك في تجهيز جيش العسرة حيث خطب رسول الله ﷺ فحث على تجهيز الجيش فقال عثمان عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها قال ثم حث فقال عثمان عليّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله يحرك بيده هكذا كالمتعجب وقال «ما على عثمان ما عمل بعد هذا»^(١) وقال حدثنا عبد الله بن شاذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي ﷺ جيش العسرة فصبها في حجر النبي ﷺ فرأيت النبي يقلبها بيده ويقول «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»^(٢).

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

يخبر الله تعالى أنه لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح له الحسن في الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ وقوله (وزيادة) هي تضعيف الثواب للأعمال الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك ويشمل ما يعطيهم الله في الجنات من القصور والحدود والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ولا يستحقونها بعملهم بل بفضل ورحمته .

قال تعالى :

﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِيعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

(١) سنن الترمذي (٣٧٠٠).

(٢) مسند أحمد (٢٠٦٣٠).

هنا^(١) يقول الله تعالى آمراً عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكاة والنفقة على القربات والإحسان إلى الأجانب، وليبادروا إلى هذه الأعمال الحسنة وذلك لخلاص أنفسهم ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلُوعٌ﴾ أي ولا يقبل من أحد فدية أن تباع نفسه أي كما يقول تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

وقال تعالى :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٥] .

عن^(٢) ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن وكذلك قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك لا يقدر على شيء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرّاً وجهراً هو المؤمن وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا ولما كان الفرق واضحاً بينا لا يجهله إلا كل غبي قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

قال تعالى :

﴿ وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

لما ذكر^(٣) الله تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام وفي الحديث: «أمك وأباك ثم أدناك أدناك» وفي رواية ثم الأقرب فالأقرب وفي الحديث «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه»^(٤) ولما أمر الله

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٢ ص ٥٥٨ .

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٢ ص ٦٠٠ .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٣ ص ٣٩ .

(٤) صحيح البخاري (٢٠٦٧) وصحيح مسلم (٢٥٥٧) .

سبحانه وتعالى بالإنفاق حسب الأوجه التي ترضي الله تعالى فإنه نهى عن التبذير والسرف «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين» أي أشباه الشياطين . قال ابن مسعود : التبذير هو الإنفاق في غير حق. وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً. وقال قتادة : التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد .
وقال تعالى :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ إِنَّا رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

يقول الله تعالى^(١) أمراً بالاقتصاد بالعيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف . ولا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً. ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعُد ملوماً محسوراً، وهذا من باب اللف والنشر فإن بخلت يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك وكما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة :
ومن كان ذا مال فيبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذمم .
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو كالدابة التي عجزت عن المسير فوقفت ضعفاً وعجزاً فإنها تسمى الحسير .
قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

إن^(٢) لله في ذلك حكمة حيث يبسط الرزق على هذا من المال الكثير ويضيق على هذا ويقتصر على هذا رزقه جداً وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى :

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٣ ص ٤٠ .

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٣ ص ٥٤٩ .

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذاك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في القمرات في أسفل الدرجات . ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه لكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث «يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك» .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبْوَءَ ۝٢٩ لِيُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

يخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانية يرجون بذلك ثواب الله .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩] .

يخبر الله تعالى عن المتقين لله عز وجل أنهم في الآخرة يكونون في جنات وعيون بخلاف أولئك الأشقياء ومالهم من عذاب ونكال وحريق وأغلال .

إن المتقين في حياتهم الدنيوية كانوا محسنين ينفذون ما أمرهم ربهم وكانوا طائعين له .

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(١) أي أنهم كانوا يكابدون الليل بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله والاستغفار وقليلًا ما ينامون وينشطون إلى وقت السحر لكي يكثروا من الاستغفار .

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ إن الله وصفهم بالصلاة وقيام الليل وثنى عليهم بوصفهم بالزكاة والبر والصلة ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي جزء من أموالهم مقسوم أفرزوه للسائل والمحروم .

فالسائل هو الذي يتدنى بالسؤال وله حق، عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين ابن علي عليه السلام أجمعين قالت : قال رسول الله ﷺ : «السائل حق وإن جاء على فرس»^(٢) .

وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رضي الله عنه : هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم أي الذي ليس له سهم في بيت المال ولا كسب ولا حرفة يتقوت منها، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه. وقال الضحاك : هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك . وقال أبو قلابة : جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم : هذا هو المحروم .

قال الله تعالى :

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ۝ فَرَأَىٰ إِلَٰهَ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧] .

فقال تعالى :^(٣) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾ أي الذين أرصد لهم الكرامة من رب العزة وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠ .

(٢) سنن أبي داود (١٦٦٥) .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٣ ص ٢٥٢ .

وردت السنة بذلك كما جاء بظاهر التنزيل. وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ ارفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم وقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّتِهِمْ فَحَبِّئُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ فالخليل اختار الأفضل وقوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُخِرَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام قدموا عليه في صورة شباب حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ وقوله: ﴿فَرَأَى إِلَهُكَ أَهْلًا﴾ أي انسل خفية وبسرعة ﴿فَجَاءَ يَعِجِّلُ سَمِينَ﴾ أي من خيار ماله، وفي الآية الأخرى ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ يَعِجِّلُ حَنِيزٍ﴾ أي مشوي على الرضف ﴿فَفَرَّيَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلتطف بالعبارة وعرض حسن وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون وبسرعة ولم يمنن عليهم أو لا فقال تأتكم بطعام بل جاء بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين فقربه إليهم ولم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم لم يأمرهم أمرا يشق على سامعيه بصيغة الجزم قال ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل .

قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْشَرُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] .

في هذه الآية^(١) قال تعالى: مادحاً الأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر رضي الله عنه: وأوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم رواه البخاري^(٢)

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٣ ص ٣٦١ .

(٢) صحيح البخاري: (٣٧٠٠) .

هاهنا أيضاً، وقوله تعالى: ﴿يُحْيُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم . قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : «ألا ما أثبتتم عليهم ودعوتم الله لهم»^(١) .

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس ابن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال : دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن نقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال «إلا فاصبروا حتى تلقوني ثانية فإنه سيصيبكم أثر»^(٢) تفرد به البخاري من هذا الوجه . وقال البخاري^(٣) حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ؓ قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا فقالوا : أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا : سمعنا وأطعنا تفرد به دون مسلم . وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله من المنزلة والشرف والتقديم بالذكر والرتبة .

ومما رواه أحمد^(٤) حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال الرسول ﷺ مثل مقالته فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته فطلع ذلك الرجل على مثل الحالة الأولى ، فلما قام رسول

(١) مسند أحمد (١٣٠٧٥) .

(٢) صحيح البخاري (٣٧٩٤) .

(٣) صحيح البخاري (٢٣٢٥) .

(٤) في المسند (١٢٦٩٧) .

الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال: نعم، قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعته يقول إلا خيراً .

فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحترق عمله قلت : يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك لأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق .

وقال^(١) رسول الله ﷺ للأنصار «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقال الأنصار: أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ : «أو غير ذلك»، قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر» فقالوا : نعم يا رسول الله^(٢) .

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣) يعني حاجة أي يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم ويدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٣٦١ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٢٦/٢٢ .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٨ .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أفضل الصدقة جهد المقل»^(١) وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حَيْءٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء يعني الأنصار آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه .

ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك ؟» قال : أبقيت لهم الله ورسوله^(٢) . وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه وهم جرحى في معركة اليرموك فكل منهم يأمر بإعطاء الماء إلى صاحبه وهو جريح مثلث أحوج ما يكون إلى الماء فردّه الآخر إلى الثالث فما وصل الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخاري^(٣) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد . فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال النبي ﷺ «ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرينه شيئاً . فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن وتعالى فأطفئني السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت . ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال له : «لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة» وأنزل الله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به ، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه^(٤) .

(١) أخرجه أحمد (٨٧٠٢) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٦) .

(٣) صحيح البخاري (٤٨٨٩) .

(٤) البخاري (٣٧٩٨) ومسلم (٢٠٥٤) والترمذي (٣٣٠٤) والنسائي في الكبرى (١١٥٨٢) .

وقوله تعالى :

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح . وقال ﷺ : «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(١) .

وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن الققعاع ابن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبداً أبداً ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»^(٢) .

وقال تعالى :

﴿فَأَنفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] .

إن^(٣) الله تعالى يأمر في الآية أنفاً عباده بتقوى الله جهد الإمكان قدر الاستطاعة من الالتزام بما يرضي الله ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يميناً ولا يساراً ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به مما أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي وابذلوا وأعطوا مما رزقناكم على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة .

وقال تعالى :

﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَخْضَعُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حِمٌّ﴾ [الحاقة: ٣٥] .

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٨) .

(٢) سنن النسائي: ١٣/٦ - ١٤ .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٤٠١ .

أي^(١) لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً.

وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وقال تعالى :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ [المعارج: ٢٣-٢٥] .

وهم^(٢) الذين يحافظون على إقامة الصلاة في أوقاتها وواجباتها بالخشوع والسكينة والطمأنينة بالصلاة، فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته .

﴿فِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات وقد تقدم .

وقال تعالى :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠] .

يأمر^(٣) الله العباد بإقامة الصلاة الواجبة وإيتاء الزكاة المفروضة ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني الصدقات فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره وقوله تعالى : ﴿وَمَا تُقْرِضُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو حاصل لكم وهو خير ما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي^(٤) حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال قال : عبد الله قال رسول الله ﷺ أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا : يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال :

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٤٤٤ .

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٤٤٩ .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٤٦٨ .

(٤) مسند أبي يعلى (٥١٦٣) .

«اعلموا ما تقولون» قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما آخر» .

قال تعالى :

﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَحْفَظُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۖ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۝ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝﴾ [الإنسان: ٧-١١] .

أي^(١) يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة في أصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك عن القاسم ابن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»^(٢) . ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه والأظهر أن الضمير عائداً على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أي المسكين واليتيم والأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة وقال ابن عباس كان إسراؤهم من المشركين ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء «إنما نطعمكم لوجه الله» أي رجاء ثواب الله ورضاه «لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا» أي لا نطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها ولا أن تشكرونا عند الناس ، قال مجاهد وسعيد بن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا» أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطير . وقال مجاهد (عبوساً) عابس الشفتين (قمطيراً) قال يقبض الوجه بالبسور ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٤٨٤ .

(٢) الموطأ ٢/ ٤٧٦ .

وَسُرُّرًا أَي أَمْنَهُمْ بِمَا خَافُوا مِنْهُ (وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ) أَي فِي وُجُوهِهِمْ (وَسُرُّرًا) أَي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ الْوَجْهَ .

قال تعالى :

﴿كَذَٰلِكَ لَا تُكَرِّمُونَ النَّبِيَّ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْثَرَ لِمَا وَجَّعْتُمُوهَا أَلَمْ يَأْتِ الْفَجْرَ﴾ [الفجر: ١٧-٢٠].

هنا^(١) يأمر الله سبحانه وتعالى بإكرام اليتيم والإحسان إليه وعن عبد الله بن مبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن زيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»^(٢).

وقال ﷺ «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام (٣). ﴿وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني لا يأمرؤن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك .

﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾ يعني الاستحواذ على الميراث ﴿أَكْثَرًا لِّمَاءٍ﴾ أي من جهة حصل لهم من حلال وحرام ﴿وَيَحْبُوتُونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي حباً خارجاً عن الأصول وزاد بعضهم فاحشاً .

وقال تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ۖ ذِي مَسْغَبٍ ﴿١٤﴾ يَلِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِيْنَا ذَا مَرْتَبٍ ﴿١٦﴾ [البلد: ١١-١٦].

قال^(٤) ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ أي دخل العقبة قال جبل في جهنم وقال كعب الأحبار ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري هي عقبة في جهنم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ﴾ ثم أخبر عن اقتحامها قال ﴿فَاُكُ رَقَبَةً﴾

(۱) تفسیر القرآن. لابن کثیر ج ۴ ص ۵۴۴.

(۲) سنن ابن ماجه (۳۶۷۹).

(۳) صحیح مسلم (۲۹۸۳).

(۴) تفسیر القرآن۔ لابن کثیر ج ۴ ص ۵۴۸۔

أي عتق رقبة مؤمنة كما قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير عن سعد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب - أي عضو - منها أرباً من النار حتى أنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج»^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ قال ابن عباس يوم ذي مجاعة وكذلك قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة، والسغب هو الجوع وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز، وقال قتادة في يوم يشتهي فيه الطعام وقوله يتيما ذا مقربة أي أطعم اليتيم أي ذا قرابة منه في مثل هذا اليوم الذي فيه طعام شحيح عزيز يشتهي وقوله تعالى: ﴿مُسْكِينًا ذَا مَرَئَةٍ﴾ أي فقيراً مدقماً لاصقاً بالتراب وقال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب .

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له. وقال آخرون هو ذو العيال .

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ﴾ [الليل: ٥-١٠].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾^(٢) أي أعطى الأمر بإخراجه واتقى الله بأمره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالمجازاة على ذلك كما قال قتادة، وقال خفيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالخلف وبما أنعم الله عليه . ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ قال ابن عباس للخير وقال زيد بن أسلم للجنة . وقال بعض السلف: ثواب الحسنة الحسنة بعدها وجزاء السيئة السيئة بعدها .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ قال ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أي لطريق الشر .

(١) مسند أحمد (٩٤٤١).

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٥٥٣ .

وقال تعالى : ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتِنَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٧-٢١] .

أي^(١) وسيزحزح عن النار التقي النقي الذي يصرف ماله في طاعة الله يزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أي ليس بذل ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطي مقابله وإنما دفعه ابتغاء وجه ربه الأعلى أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنان .

وقوله تعالى :

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى : ٩-١١] .

أي^(٢) كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم . ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي لا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله. وقال قتادة: يعني رد المسكين برحمة ولين. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي كما كنت عائلاً فقيراً فأغنك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي «واجعلنا شاكرين لنعمتك مشنين بها عليك قابليها وأتمها علينا».

وقوله تعالى : ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُوا كَلَّا لَيُبَدَّلَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾ [الهمزة : ٢-٤] .

أي^(٣) جمع ماله وأحصى عدده ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة. وقوله تعالى : ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُوا﴾ أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار. (كلا) ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. وقوله تعالى ﴿لَيُبَدَّلَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾ أي ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهي اسم طبقة من أسماء النار.

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٢) تفسير القرآن - لابن كثير - ج ٤ ص ٥٢٥ .

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ٤ ص ٥٤٨ .

المبحث الثاني

الجود والكرم في السنة النبوية

- ١- عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم ينفق عليك»^(١).
- ٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر أعط ممسكاً تلفاً»^(٢).
- ٣- وعن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٣).
- ٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(٤).
- ٥- وعن جابر رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله شيئاً فقال: لا»^(٥).
- ٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير، قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٦).
- ٧- وعنه قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق مواعدها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة»^(٧).
- ٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل»^(٨).

(١) رواه البخاري (٥٣٥٢).

(٢) رواه البخاري (١٤٤٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٦٣).

(٤) رواه البخاري (٧١٤١).

(٥) رواه البخاري (٦٠٣٤).

(٦) رواه البخاري (١٢).

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٥٨٧).

(٨) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

٩- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا توكي فيوكي الله عليك» وفي رواية «أنفقي وانفحي أو انضحي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك»^(١).

١٠- وعن أبي أمامة صدى بن عجلان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢).

١١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتوسع»^(٣). (والجنة) الدرع ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفي رجله وأثر مشيته وخطواته.

١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في صحابة: اسقي حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماؤه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ فقال فلان للاسم الذي سمع في الصحابة. فقال له يا عبد الله: لم تسأل عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسقي حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها. فقال: إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثله وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه»^(٤). (الحرّة) الأرض الملبسة بحجارة سوداء و(الشرجة) وهي مسيل الماء.

(١) رواه البخاري (١٤٣٣) و(٢٥٩١).

(٢) رواه مسلم (١٠٣٦).

(٣) رواه البخاري (١٤٤٣).

(٤) رواه مسلم (٢٩٨٤).

١٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»^(١). (الفلو) يعني المهر.

١٤- وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلماً صبر عليها إلا زاده الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية فهو يقول: لو أن لي مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالاً وعلماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو ونيته فوزرهما سواء»^(٢).

١٥- وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على سفك دمائهم واستحلوا محارمهم»^(٣).

١٦- عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية»^(٤).

١٧- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة»^(٥).

(١) رواه البخاري (١٤١٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٥) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) رواه مسلم (٢٠٥٩).

(٥) رواه مسلم (٢٠٥٨).

١٨- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال فلان: «اكسينها ما أحسنها»، فقال: نعم فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال القوم: ما أحسنت لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ثم سأله وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سأله لألبسها وإنما سأله لتكون كفي. قال سهل: فكانت كفته ^(١).

١٩- حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو الشيباني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً تصدق بناقاة مخطومة في سبيل الله تعالى فقال رسول الله ﷺ «لأتين يوم القيامة بسبعمائة مخطومة» ^(٢).

٢٠- كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح وفي رواية عام الحجة: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى تجعل ما في فم امرأتك» ^(٣).

٢١- عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «أتى الله بعبد من عباده يوم القيامة قال: ماذا عملت لي في الدنيا؟ فقال: ما عملت لك مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها قالها ثلاث مرات قال العبد عند آخرها يارب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً أبايع الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر. قال: فيقول الله عز وجل أنا أحق من ييسر أدخل الجنة» ^(٤).

٢٢- ومما ورد في الأخبار في الإطعام:

قال ﷺ «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع» ^(٥).

(١) رواه البخاري (١٢٧٧).

(٢) مسند أحمد (٢٢٣٥٧).

(٣) رواه البخاري (٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٠٦٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (١٠٣٥).

٢٣- وقال: ﷺ «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها وهي لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وصلى الليل والناس نيام»^(١).

وكان إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه، وكان يكنى أبا الضيفين، ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع: أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف.

٢٤- وسئل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢).

وسئل عن الحج المبرور فقال ﷺ: «إطعام الطعام وطيب الكلام»^(٣).

٢٥- وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٤).

ودل حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ والذي أجيد نضجه وهو أحد معاني الإكرام أي تقديم اللحم وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾ [البقرة: ٥٧] والمن: هو العسل، والسلى: هو اللحم سمي بالسلى لأنه ينسلي به عن جميع الإدام ولا يقوم مقامه غيره، ولذلك قال النبي ﷺ: «سيد الإدام اللحم»^(٥). ثم قال بعد ذكر المن والسلى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] فاللحم والحلويات من الطيبات.

٢٦- وقال النبي ﷺ: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيةٌ إِلَى الْأَرْضِ فَمَنْ أَخَذَ مِنْهَا فَغَصَنَ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغَصَنُ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٦).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٢٧) من حديث علي وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق

(٢) أخرجه مسلم (٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٤٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٨).

(٥) المعجم الأوسط (٧٤٧٧).

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٢٣٥ وابن حبان في المجروحين ١/ ٢٤٥. وابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٨٢.

- ٢٧- وقال جابر رضي الله عنه : قال النبي ﷺ «قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى إن هذا الدين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه ما استطعتم»^(١).
- ٢٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما جبل الله ولياً له إلا على حسن الخلق والسخاء»^(٢).
- ٢٩- وعن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل إلى الله؟ قال ﷺ: «الصبر والسماحة»^(٣).
- ٣٠- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي: «إن لله عبداً يخصصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها إلى غيره»^(٤).
- ٣١- وعن الهلالي قال: أتى رسول الله ﷺ بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنوب واحد فما بال هذا بينهم؟ قال ﷺ: «نزل علي جبريل فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه»^(٥).
- ٣٢- وقال ﷺ: «إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفافها»^(٦).
- ٣٣- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل»^(٧).
- ٣٤- وقال ﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين»^(٨).

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٨٦٥).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١٧٩/٢.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٩٧١٠).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦٦٢).

(٥) لم أجد له أصلاً.

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٨٤٠).

(٧) أخرجه الترمذي (١٩٦١).

(٨) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٨٩/٦، والبيهقي في الشعب (١٠٨٩٤).

٣٥- قال النبي ﷺ: « لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغضه الله ومن أبغض الله أبغضه الله»^(١).

٣٦- وقال: ﷺ « لا خير فيمن لا يضيف»^(٢).

٣٧- ومر رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثير فلم يضيفه، ومر بامرأة لها شويهاات فذبحت له فقال ﷺ: «انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل»^(٣).

٣٨- وقال ﷺ: «شر الطعام طعام وليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء»^(٤).

٣٩- وقال ﷺ: « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق فزينوا دينكم بهما»^(٥).

٤٠- وقال أبو الدرداء ؓ: قال النبي ﷺ: « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوني فقواه بالسخاء وحسن الخلق ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق»^(٦).

٤١- وقال ﷺ: « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»^(٧).

٤٢- وعن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ: « ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط متنفقا خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٨).

(١) أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لا يكلف أحد الضيف ما لا يقدر عليه » وفيه محمد

ابن الفرج الأزرق متكلم فيه كما في تخريج الأحاديث الإحياء.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٩) من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠١٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٧٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٤٧) عن حديث عمران بن الحصين.

(٦) لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٣) من حديث أبي الدرداء (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٣٣٣)، وأبو يعلى (٦٥٥٠) عن حديث أبي هريرة ؓ.

(٨) أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة.

٤٣- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عباد رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ : «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة»^(١).

٤٤- عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»^(٢).

٤٥- وعن أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعاماً فقال (كلي) فقالت : إني صائمة، فقال رسول الله ﷺ : «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا» وربما قال «حتى يشبعوا»^(٣).

٤٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت»^(٤) (٤).

٤٧- وعن أنس رضي الله عنه قال : «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ولقد جاء إلى رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وإن كان الرجل ليسلم وما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»^(٥).

٤٨- وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : «ما بقي منها؟» قالت : ما بقي منها إلا كتفها، قال : «بقي كلها غير كتفها»^(٦).

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٨٠٧).

(٣) رواه الترمذي (٧٨٥) وقال : حديث حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري (٦٠١٨).

(٥) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٦) رواه الترمذي (٢٤٧٠) وقال : حديث حسن صحيح.

٤٩ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الأشعرين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم في المدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم»^(١).

٥٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(٢).

٥١ - وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف، وحبب إليهم، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدة فيحييها ويحيي به أهلها»^(٣).

٥٢ - وقال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة والదال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان»^(٤).

٥٣ - وقال رسول الله ﷺ: «كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة»^(٥).

٥٤ - وقال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»^(٦).

٥٥ - وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «السخي الجهول أحب إلى الله من

عابد بخيل»^(٧).

(١) رواه البخاري (٢٤٨٦).

(٢) رواه مسلم (٨١٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور ٤/٢٣٦.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦٥٧).

(٥) أخرجه أبو يعلى (٢٠٨٥).

(٦) أخرجه الترمذي (١٩٦٢).

(٧) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/١٧٨.

٥٦ - وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(١).

٥٧ - وفي الصحيحين عن^(٢) أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها

من اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، عيينة بن بدر، علقمة بن علاثة وزيد

الخير وقال (أنألفهم) ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائهم.

(١) أخرجه ابن حبان (٣٢١٠).

(٢) البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

المبحث الثالث

الجود والكرم عند الخلفاء الراشدين والصحابة

رضوان الله عليهم

١- الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه

اسمه: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، التيمي يلتقي مع الرسول ﷺ في مرة .

قال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْأَنْفَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٧]. قال ابن الجوزي: أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر الصديق. وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً مثله. وقال ابن كثير وروي أيضاً من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلًا «كان رسول الله يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه». وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة رضي الله عنها وعروة بن الزبير «أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم وله أربعون ألف دينار، وفي لفظ أربعون ألف درهم فأنفقها على الرسول ﷺ» وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون على الإسلام. وأخرج ابن شاهين في السنة والبغوي في تفسيره وابن عساكر عن ابن عمر قال «كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بلخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال: يا جبريل أنفق ماله عليّ قبل الفتح قال: فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول:

قل له أراضٍ أنت عني في ففرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر: أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ»^(١).

وأخرج الخطيب^(٢) بسند واه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «هبط علي جبريل عليه السلام وعليه طنفسة وهو متخلل بها فقلت له: يا جبريل ما هذا؟ قال إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض» قال ابن كثير وهذا منكر جداً وقال ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الإعراض عنهما أولى.

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي. قلت اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه في شيء أبداً»^(٣).

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الحسن البصري قال: (إن أبا بكر أتى النبي ﷺ بصدقته فأخفاها فقال: يا رسول الله هذه صدقتي ولله عندي معاد وجاء عمر فأظهرها فقال: يا رسول الله هذه صدقتي ولي عند الله معاد فقال رسول الله ﷺ ما بين صدقتكما كما بين كلمتيكما»^(٤).

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مالأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»^(٥).

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ١٨٥/٢ ، والبغوي في تفسيره ٢٩٤/٤.

(٢) تاريخ بغداد ٤٤١/٥.

(٣) أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥).

(٤) حلية الأولياء ٣٢/١.

(٥) الترمذي (٣٦٦١).

وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: جئت بأبي قحافة إلى النبي ﷺ فقال: «هلا تركت الشيخ حتى آتية، قال بل هو أحق أن يأتيك قال: إنا نحفظه لأيادي ابنه عندنا»^(١).

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر وأساني في نفسه وماله وأنكحني ابنته»^(٢).

وقال^(٣) ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد المحاربي مؤدب محارب أن موسى بن عمير عن عامر الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنْ بُدُّوا أَلْصَقْتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا أَلْفُ قَرَّاءٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال نزلت الآية في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقال النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي، وأعطاني مثل إيمان كل من آمن بي من ولد آدم»^(٤).

وقال عليه السلام «رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم، ووضع أبي بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم»^(٥).

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله ﷺ بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال: «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى»^(٦) يعني نفسه.

(١) مسند البزار (٧٩).

(٢) تاريخ دمشق ٦٠/٣٠.

(٣) تفسير القرآن - لابن كثير ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥/٥٢.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٨٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

٢- الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اسمه: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ، وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

وإنما سمي بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل، وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، سماه عدي بن حاتم وقيل غيره والله أعلم.

وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة. وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري.

وأبو موسى أول من كتب إليه: لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبي موسى الأشعري، فلما قرئ ذلك على عمر قال: إني لعبد الله وإني لعمر وإني لأمير المؤمنين، والحمد لله رب العالمين.

وكان متواضعاً، خشن الملبس، شديداً في ذات الله، واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه، الكل يتشبه به فمن غاب أو حضر، وكان يلبس جبة الصوف المرقعة بالأديم وغيره ويشتمل بالعباءة، ويحمل القرية على كتفه مع هيئته وكان أكثر ركابه الإبل، ورحله مشدود بالليف، وكذلك عماله مع ما فتح الله عليهم من البلاد وأوسعهم من الأموال.

وقد بلغ من زهد عمر رضي الله عنه أن أصاب أرضاً بخير فأتى النبي ﷺ، فقال: أصبت أرضاً بخير لم أحب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ وأجاب رسول الله ﷺ: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر بها على الفقراء والقريبى وفي الرقاب

وفي سبيل الله والضعيف، لاجنّاح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقاً غير متمول فيها وقال: إنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا تورث، فكانت هذه أول صدقة تصدّق بها في الإسلام، وكانت الأصل الأول لنظام الوقف عند المسلمين^(١).

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق. فوافق ذلك ما لا عندي، قلت: اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه في شيء أبداً^(٢).

(١) ١. حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي - ج ١ ص ٢٤٩.
(٢) أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥).

٣- الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، الأموي، أبو عمرو ويقال أبو عبد الله، وأبو ليلى.

ولد في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديماً وهو من دعاة الصديق إلى الإسلام وهاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة.

وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ وماتت عنده في ليالي غزوة بدر. فتأخر عثمان عن بدر لتمريرها بإذن رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره فهو معدود في البدرين بذلك وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة، فزوجه رسول الله ﷺ بعدها أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة.

قال العلماء^(١) ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي ذا النورين فهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن. وروي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثاً.

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟»^(٢).

وأخرج البخاري^(٣) عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوضر أشرف عليهم فقال: أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، أستم تعلمون أن رسول

(١) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص ١٤٨.

(٢) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص ١٥١.

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠١).

الله ﷺ قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» ؟ فجهزتهم. أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر بئر رومة فله الجنة»؟، فحفرتها، فصدقوه بما قال^(١).

وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش فقال عثمان: يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء^(٢).

جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم»^(٣).

ومن جوده^(٤): أصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر وقالوا: يا خليفة رسول الله، إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع؟ فقال: انصرفوا واصبروا فإنني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عليكم.

فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام. فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موسقة برأ وزيتاً وزبيباً، فأناخت بباب عثمان بن عفان، فلما جعلها في داره جاء التجار، فقال لهم، ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد!

(١) صحيح البخاري (٢٧٧٨).

(٢) سنن الترمذي (٣٧٠٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٣٦٠).

(٤) قصص العرب - لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج ١ ص ١٨٩.

بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس إليه. قال : حباً وكرامة. كم تريحونني على شرائي؟ قالوا : الدرهم درهمين، قال : أعطيت زيادة على هذا. قالوا : أربعة، قال : أعطيت زيادة على هذا، قالوا : خمسة، قال : أعطيت أكثر من هذا. قالوا : يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذي أعطاك ؟ قال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة. أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا، قال : فإنني أشهد الله أنني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله عز وجل على المساكين وفقراء المسلمين .

وروي أنه كان لعثمان على طلحة خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة : قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال : هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك .

٤- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وآل بيته

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِنْهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

هذا ^(١) مدح للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً والأحوال سرّاً وجهاراً حتى أن النفقة على الأهل تدخل ضمن ذلك.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال: سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أن الآية آنفاً نزلت في أصحاب الخيل. وقال حنش الصنعاني عن ابن شهاب عن ابن عباس في هذه الآية: هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله.

وكذا روي عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي بن أبي طالب أربعة دراهم فأنفق درهماً ليلاً ودرهماً نهاراً ودرهماً سرّاً ودرهماً علانية فنزلت الآية ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِنْهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وكذا رواه ابن جرير عن طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب. وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في خطبته:

إنه سيأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك. وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: والله ما استقص كريم قط حقه.

(١) تفسير القرآن - لابن كثير ص ٣٣٣.

كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب إليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه خير المال ما بقي به العرض.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيًّا وإنما السخي من يتدئ بحقوق الله تعالى.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

لامال أعون من العقل. ولا مصيبة أعظم من الجهل. ولا مظاهرة كالمشاورة. ألا وإن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لثيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار. والجلود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة. وسأل معاوية الحسن بن علي عليه السلام عن المروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة: فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والإقدام في الكراهية. وأما النجدة: فالذب عن الجار والصبر في المواطن. وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل.

وقيل رفع رجل إلى الحسن بن علي عليه السلام رقعة فقال له الحسن: حاجتك مقضية، فقل له: يا ابن بنت رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك؟ فقال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته.

٥- قيس بن سعد بن عبادة

هو قيس بن سعد بن عبادة شيخ الخزرج كان من دهاة العرب وذوي الرأي الصائب وكان شريف قومه غير مدافع وعاش إلى أيام معاوية ومات سنة ٥٨ للهجرة وهو من الصحابة رضي الله عنهم.

وقيل^(١) تمارى ثلاثة في أجواد الإسلام، فقال رجل: أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر. وقال آخر: أسخى الناس عرابة الأوسي. وقال ثالث: بل قيس بن سعد بن عبادة. وأكثروا الجدل في ذلك وعلا ضجيجهم وهم في فناء الكعبة .

فقال لهم رجل: قد أكثرتم الجدل في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان ؟

فقام صاحب عبد الله إليه، فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يريد ضيعة له، فقال: يا بن عم رسول الله، قال: قل ما تشاء، قال: أنا ابن سبيل ومنقطع به ؟ فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له: ضع رجلك واستوِ على الراحلة؛ وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بالسيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب ﷺ! فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز^(٢) وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف. ومضى صاحب قيس بن سعد ابن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية: هو نائم، فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به. قالت: حاجتك أهون من إيقاظه! هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم أن ما في دار قيس غيره خذه وامض إلى معاطن الإبل^(٣) إلى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة

(١) قصص العرب - لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج ١ ص ٢٢١.

(٢) المطرف من الثياب : ما جعل في طرفه علمان.

(٣) المعطن : مبرك الإبل.

من رواحله وما يصلحها وعبدا وامضٍ لشأنك! ولما انتبه قيس من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها.

ومضى صاحب عرابة الأوسي إليه فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشي على عبيدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به. فخلّى العبيدين وصفق بيمنه على يسراه وقال: أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعني العبيدين. قال: ما كنت بالذي أقص جناحيك قال: إن لم تأخذهما فهما حران فإن شئت تأخذ وإن شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط راجعاً إلى منزله. فأخذ صاحبه وجاء بهما إلى رفاقه فقالوا: إن هؤلاء الثلاثة أجود عصرهم إلا أن عرابة الاوسي أكثرهم جوداً لأنه أعطى جهده.

وفي سنة^(١) ثمان للهجرة كانت غزوة الخبط، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار وكانت في رجب، وزودهم رسول الله ﷺ جراباً من التمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم ثمرة ثم ثمرة، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء إلى الليل فنقد ما في الجراب، فأكلوا الخبط وجاعوا جوعاً شديداً فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلوها، فنهاه أبو عبيدة فانتهى. ثم إن البحر ألقى إليهم حوتاً ميتاً فأكلوا منها حتى شبعوا، ونصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه، فيمر الراكب تحته (يعني ضلع الحوت). فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي ﷺ، قال: كلوا رزقاً أخرج الله لكم، وأكل منه رسول الله ﷺ، وذكروا صنيع قيس بن سعد فقال: «إن الجود شيمة أهل ذلك البيت»^(٢).

وحسبك من يثني عليه الرسول ﷺ.

(١) الكامل في التاريخ. لابن الأثير ج ٢ ص ٢٣٢.

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الفتح ٦١/٨.

وقيل^(١) مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيّل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال : أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر منادياً فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو بريء منه قال : فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده لمشافاته. وقيل^(٢) وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو إليك قلة الجرذان قال : ما أحسن هذه الكناية! املؤوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً.

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٨

(٢) العقد الفريد . لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٥٦.

المبحث الرابع

ما جاء به الرسول ﷺ

والصحابه والتابعون والأولياء والصالحون

تقديم الطعام للضيوف والإخوان

حيث جاء في أخبار الإطعام: قال النبي ﷺ: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع»^(١). وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكانوا يقولون: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل من فضل ذلك»^(٢) فإننا نحب أن نستكثر مما يقدم إليكم لنأكل فضل ذلك. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لإخوانه. وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفرقوا إلا على ذواق.

وفي الأخبار^(٣) «يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، فيقول: أظعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أظعمته أظعمتني».

وقال ﷺ «من أظعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه أبعد الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٠٣٥).

(٢) لم أقف له على أصل.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٤٤/٤.

وكان^(١) محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن عليه السلام فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول: هكذا كنا. وروي عن الحسن عليه السلام أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسية فقال له هشام: ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل من متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ [سورة النور: ٦١] فقال: فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت النفس إليه واطمأن القلب إليه. ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا. وقال بعضهم: الأكل على ثلاثة: ١- مع الفقراء بالإيثار. ٢- مع الإخوان بالانبساط. ٣- ومع أبناء الدنيا بالأدب.

وقال أنس رضي الله عنه: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة.

وكان^(٢) إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتبس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة ما بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع: أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف.

ومن الكرم هو تعجيل الطعام للضيوف: كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٥٤] أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: ٦٩].

وقال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب، ويستحب التعجيل في الوليمة ويستحب تقديم ألطف الأنواع من الطعام حتى يستوفي منها من يريد الأكل من الأنواع الأخرى ويكون الطعام من الكثرة بحيث يكفي فإن التقليل من الكفاية يعتبر نقصاً في المروءة».

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٣٢١ طبعة المكتبة القيمة.

(٢) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٣٢٢.

وفي^(١) الأخبار أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاماً كثيراً على مائدته فقال له سفيان الثوري: يا أبا أسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفاً؟ فقال إبراهيم: ليس في الطعام سرف فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف.

ومن الآراء المليحة والكلام الجميل: ينبغي أن يعزل نصيب أهل الضيافة أو الدار في الولائم حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق ألسنتهم في الضيوف ويكون قد أطعم الضيوف ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم.

وإن من سنة الضيافة حفاوة الاستقبال وبشاشة الوجه وطلاقة وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة وخدمة الضيف وفي الأخبار: قدم وفد النجاشي على المصطفى ﷺ فقام بخدمتهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله، فقال: «كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم». وقيل للأوزاعي: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث، وقال يزيد بن أبي زياد: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً.

إن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، وإن الكرم والسخاء مرتبطان بحسن الخلق كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة حيث قال المصطفى ﷺ: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الأيمان قال: اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق»^(٢).

وقال ﷺ: «إن الله أستخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما»^(٣).

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٣٢٧.

(٢) انظر ما سلف ص ١٠٢.

(٣) سلف ص ١٠٢.

وقال الجنيد: أربع ترفع العبد أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان.

والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعاً وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال الحواريون^(١) لعيسى عليه السلام: مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك قال: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء. وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي عليه السلام: يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفاً به الصراط قال له ماله: أمضي فقد أدبت حق الله فيّ. ثم يجاء بصاحب المال الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفاً به الصراط قال له ماله: ويلك ألا أدبت حق الله فيّ فما يزال كذلك يدعو بالويل والثبور»^(٢).

وفي الآثار^(٣) روي أن رجلاً نال من أبي الدرداء وأراه سوءاً فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله. فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر؟ لأنه لا بد أن يفضي إلى الطغيان، ووضع علي كرم الله وجهه درهماً على كفه ثم قال: أما إنك مالم تخرج عني لا تنفعني.

وروي عن عمر رضي الله عنه^(٤) أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسل إليك عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له ثم سلت سترأ كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا. فكانت أول نساء الرسول ﷺ لحوقاً به. وقال

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٣٣.

(٢) شعب الإيمان (١٠٦٥٧).

(٣) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٣٤.

(٤) المصدر نفسه.

الحسن عليه السلام: والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله. وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم ^(١) رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً. وقال سميط بن عجلان: إن الدرهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار. وقال يحيى ابن معاذ: الدرهم عقرب إن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه، وقيل ما رقيته ؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه.

وقال العلاء بن زياد ^(٢): تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت: أعوذ بالله من شرك ! فقالت: إن شرك أن يعينك الله مني فأبغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا. وفي ذلك قيل:

لا يغررك من المرء	قميص رقعته
أو إزار فوق عظم	الساق رفعة
أو جبين لاح فيه	أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف	حسبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك ^(٣) أنه دخل على عمر بن عبد العزيز عليه السلام عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك وليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة وعشرون ولداً فقال عمر: أقعدوني، فأقعدوه فقال: أما قولك لم أدع لهم درهماً ولا ديناراً فإنني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم وإنما ولدي أحد الرجلين: إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاصٍ لله فلا أبالي على ما وقع. وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيراً فقبل له: لو ادخرته لولدك بعدك ؟ قال: لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٣٤.

ويذكر الإمام أبو حامد الغزالي في ذم الغنى ومدح الفقر^(١) [فإني رأيت الهالك المؤثر للعالم سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره، فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له مصيره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]]. فيالها من مصيبة ما أفضعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الإنسيين بالحجج الداحضة عند الله. فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إن احتججك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها لسانك فتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم. ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمداً والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة؟ فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال. كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ فقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رؤوفاً.

ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم؟ أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم إن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل لذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٦٠ - المكتبة القيمة.

الله عن جهلك أيها المفتون ؟ تدبر بعقلك ما دهاك الشيطان حين زين لك الاحتجاج
بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف، وقد ود عبد
الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً؟

وقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب
الرسول ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك. فقال كعب: سبحان الله وما تخافون
على عبد الرحمن كسباً طيباً وأنفق طيباً وترك طيباً. فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد
كعباً فمر بعظم لحي بغير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعباً، فقيل لكعب: إن أبا ذر
يطلبك، فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، وأقبل أبو ذر
يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف
عثمان هارباً من أبي ذر، فقال أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد
الرحمن بن عوف، ولقد خرج رسول الله ﷺ يوماً نحو أحد وأنا معه فقال: يا أبا ذر،
فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا
وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم» ثم قال يا أبا ذر، قلت: نعم يا
رسول الله بأبي أنت وأمي، قال: «ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله وأموت
يوم أموت وأترك منه قيراطين» قلت: أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال: بل قيراطان ثم
قال: «يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل» فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا
ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ؟ كذبت وكذب من قال. فلم يرد عليه
خوفاً حتى خرج].

ويروى أن رجلاً قال لابن عبد ربه: يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير. فأخرج
ابن عبد ربه من ماله مائة ألف درهم. وقال يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأولون
والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، وقيل: ما هما ؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه
كله. وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(١). وكل ما جاء في ثواب
الصدقة والحج المبرور فهو ثناء على المال إذا لا يمكن الوصول إليهما إلا به.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٢١٠).

وليعلم الناس أن المال مثل حية^(١) فيها سم وترياق وفوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيريه وصرف المال يتم لأمر دينوية ودينية. أما الأمور الدنيوية لا حاجة لذكرها لأن كل إنسان يعرفها وشعبها كثيرة ويطول شرحها، أما الأمور الدينية فما يخرج من الإنسان عبارة عن صدقات وإعانات للمحتاجين إذ بها يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبها يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا مما يعظم الثواب فيه. فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

فوائد المال:

وفي المال يقي الإنسان عرضه لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضاً تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية حيث قال رسول الله ﷺ: «ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة»^(٢) وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز ما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على تجاوز حدود الشريعة. وكذلك صرف المال على عموم الناس لكي يحصل به خير عام مثال ذلك: بناء المساجد، القناطر، الرباطات، ودور المرض ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك بها خيراً. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل. وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله لقضاء حوائج الناس»^(٣).

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٣٦.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٠٤٠) من حديث جابر.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦٥٩).

وروى المقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني إلى الجنة قال ﷺ : «إن موجبات المغفرة : بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام»^(١). وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : «يقول الله تعالى : اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله يأخذ بيده كلما عثر»^(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى لياهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام»^(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله : «إن لله عبداً اختصهم بالنعمة لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها إلى غيره»^(٥).

وقال ﷺ : «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ، فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال»^(٦).

وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تأكله النار ، قيل ما هو ؟ قال : المعروف.

وإن الله عز وجل يقول إني جواد كريم لا يجاورني لئيم ، واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار ، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٦٩) بلفظ بذل السلام وحسن الكلام.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧١٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧١٧).

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس (٤٩٥٨).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٦٢).

(٦) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢/ ٢٨٠.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل»^(١).

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبيب إليهم المعروف وحبيب إليهم فعالة ووجه إليهم طلاب المعروف ويسر إليهم إعطاؤه كما يسر الغيث إلى البلدة المجذبة فيحييها ويحيي به أهلها»^(٢).

روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي. وقال جابر: بعث رسول الله ﷺ بعثاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك فقال ﷺ : «إن الجود شيمة أهل ذلك البيت»^(٣).

وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمة وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا.

وقال^(٤) حذيفة رضي الله عنه : رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته. وروي أن الأحنف بن قيس رأى رجلاً في يده درهم فقال له لمن هذا الدرهم؟ فقال: لي، فقال: أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك. وفي معناه قيل:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقت فالمال لك.

وقيل لسفيان بن عيينة: ما السخاء؟ قال: السخاء البر بالإخوان والجود بالمال. وقال ورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها حرراً إلى إخوانه وقال: قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال؟.

(١) أخرجه الترمذي (١٩٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا كما ورد في الدر المنثور ٢٣٦/٤.

(٣) أورده الحافظ ابن حجر في الفتح ٦١/٨.

(٤) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٥.

وقال المهدي لشبيب بن شيبة: كيف رأيت الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجياً ويخرج راضياً. وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فإذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله أو لذوي القرابة أو دع
فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين ليخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطراً
فإن أصاب الكرام كانوا أهلاً به وإن أصاب اللئام كنت له أصلاً^(١).
من حكايات الأسخياء^(٢):

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة: ما استطعت في قسمته اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت: لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبید الله بن عباس فأتى وجوه قريش وقال: يقول لكم عبید الله تغدوا عندي اليوم. فأتوه حتى ملؤوا عليه الدار فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر فأمر عبید الله بشراء فاكهة وأمر قوماً فطبخوا وخبزوا وقدمت إليهم فاكهة فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا. فقال عبید الله لوكلائه: أموجود هذا لنا كل يوم؟ قالوا: نعم. قال: فليتغد عندنا هؤلاء كل يوم.

وعن واقد بن محمد الواقدي قال: حدثني أبي أنه رفع إلى المأمون رقعة يذكر فيها كثرة دينه وقلة صبره عليه. فوقع المأمون في ظهر الرقعة إنك رجل اجتمع فيك خصلتان: السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي تطلق ما في يديك. وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وإن لم تكن أصبت فجنائتك على نفسك وأنت حدثني وأنت كنت على قضاء.

(١) المصدر نفسه.

(٢) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٦.

عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوام رضي الله عنه «يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم»^(١) قال الواقدي: فوالله لمذكرة المأمون إياي بالحديث أحب إلي من الجائزة وهي مائة ألف درهم واجتمع^(٢) قراء البصرة إلى ابن عباس رضي الله عنه فقالوا: لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج ابنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به. فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر فقال: احملوا. فحملوا. فقال ابن عباس: ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله ففعل وفعلوا

وحكي أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان أنني عدوه. فعال محاويعهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم يبيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته.

وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال: للشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وأدعي علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم أحسنني فإن أهلي لا يتركوني محبوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس.

وكان^(٣) معن بن زائدة عاملاً على العراقيين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهياً له فقال يوماً لبعض خدام معن. إذا دخل الأمير البستان

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٦٥/٥٤ .

(٢) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٦.

(٣) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٧ .

فعرّفني فلما دخل الأمير البستان أعلمه. فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي إلى معن سواك شفيح.

فقال : من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له : كيف قلت ؟ فقال له ، فأمر له بعشرة بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت البساط فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها له.

ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج ، فلما كان اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يجده فقال معن حق علي ما أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي ولا دينار.

وحكي^(١) أن قوماً من العرب جاؤوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد جاؤوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم صاحب القبر في النوم وهو يقول له : هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبني ؟ وكان السخي الميت قد خلف نجيباً معروفاً به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له : في النوم نعم فباعه بالنوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا ، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال : أنا فقال له : هل بعت من فلان بن فلان شيئاً ؟ وذكر الميت صاحب القبر قال : نعم بعت بعيري بنجيبه في النوم فقال : خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع نجيبني إلى فلان بن فلان وسماه.

(١) المصدر نفسه.

وقدم^(١) رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال: يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له: ما يبكيك لعلك استقلت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل إلي علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة: بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري أحسن منها مني. فقال: عزمت عليك إلا حدثتني بها فقال: يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوماً إلا كانوا آمن علي مثلي عليهم. ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيته إياه.

ودخل^(٢) سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلاً جواداً فإذا لم يجد كتب لمن يسأله صكاً على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال:

إنني سمعت مع الصياح منادياً يامن يعين على الفتى المعوان.
ثم قال: ما حاجتك. قال ديني قال: وكم هو. قال: ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله وعن أبي إسحاق قال: صليت العصر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريماً لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت: لست من أهل هذا المسجد فقالوا: إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين.

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٨.

(٢) المصدر نفسه.

وعن الربيع بن سليمان قال: أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال: يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباؤه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة يعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء.

وعن أبي ثور قال: أراد الشافعي رحمه الله الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئاً من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة لك ولولدك. قال: فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكن بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه.

وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول:

أرى نفسي تتوق إلى أمور يقصر دون مبلغهن مالي
فننفي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي

وقال الشيخ^(١) أبو سعد الحرکوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأنه يجمع للفقراء شيئاً فولد لأحدهم مولود قال فجئت إليه وقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء. قال: ثم قام وأخرج ديناراً وقسمه نصفين وناولني نصفه. وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح الله عليك بشيء، قال: فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به. قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: إني سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل. فلما كان من الغد

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٨ - المكتبة القيمة.

تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له: اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجأؤوا بها فوضعوها بين يديه، فقال: هذا مالكم وليس رؤياي حكم، فقالوا: هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء؟ فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة، قال: فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال: يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء. فقال أبو سعيد: لا أدري أي هؤلاء أسخى؟.

وقال الشافعي رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فحركه فانقطع إزاره فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوي زره فقال الخياط: والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعي رحمته الله يقول:

يا لهف قلبي على مال أجود به على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذارى إذا جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

ودخل^(١) أبو تمام على إبراهيم بن المهدي بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً فقبل منه المدح وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال: عسى أن أقوم من مرض فأكافئه فأقام شهرين فوحشه طول المقام فكتب إليه يقول:

إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدراهم والدنانير في البيـ ح حرام إلا يبدأ بيد

فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال: شهرين، قال له: أعطه ثلاثين ألفاً وجئني بدواة فكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونقول نحن كأننا لم نفعل

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٤٩ .

وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: علي أربعمائة درهم دين. فوزن إليه أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك؟ فقال: إنما أبكي لأنني لم أفتقد حاله حتى احتاج إلى مفاتيحي. فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين.

وروي^(١) أن النبي ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي. فقال له ﷺ: وما ذنبك، صفه لي؟ فقال: هو أعظم من أن أصفه لك، فقال: ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟ فقال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم الجبال؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله فقال: ذنبك أعظم أم البحار؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم السماوات؟ قال: بل ذنبي أعظم، قال: فذنبك أعظم أم العرش؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم الله؟ قال: بل ذنبي أعظم وأعلى، قال: ويحك فصف لي ذنبك؟ فقال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل يأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار، فقال ﷺ: إليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر بالنار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وفي الآثار^(٢):

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت ثم قال لها: أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٥٢، وهو باطل لا أصل له كما قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٢) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٥٢ المكتبة القيمة.

الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن. ثم قال لها: أظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت. فنظر إليها فقال: تكلمي. فقالت: طوبى لمن دخلني. فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكنك بخيلاً.

وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته.

وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكننا نتصبر. وقال محمد بن المنكدر: كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمر الله عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم. وقال عبد الله بن عمرو: الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذي يبخل بما في يده.

وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غوراً في نار جهنم البخل أو الكذب؟

وفي الخبر: ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي: تكلم، فقال: خير الناس من ألقي سخيماً وعند الغضب وقوراً وفي القول متأنياً وفي الرفعة متواضعاً وعلى كل ذي رحم مشفقاً.

وقال الرومي: من كان بخيلاً ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجاح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحم عليه.

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلَلاً﴾ [يس: ٨]: يعني ذلك البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى.

وقال كعب: ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان: اللهم عجل للممسك تلفاً وعجل للمنفق خلفاً.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً وقد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه.

من حكايات البخلاء :

أقبل^(١) أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل : أتحسن من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم فقرأ ﴿ وَالزَّيْنُونَ ﴾ ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ فقال : وأين التين ؟ فقال : قال : هو تحت كسائك .

ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل فسأل نسيباً له كان يعرفه عنه فقال له قائل : صف لي ما هي مائدته ؟ فقال : هي قتر في قتر وصحافة منقورة من حب الخشخاش ، قيل : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون ، قال : فما يأكل معه أحد ؟ قال : بلى الذباب . فقال : سوءتلك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق ، قال : أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطها به ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتها إياهم ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل .

الإيثار :

تحدثنا عن السخاء والبخل وكل واحد منهما ينقسم إلى درجات فأعلى درجات السخاء الإيثار : وهو أن يجود بالمال مع الحاجة وإنما السخاء هو عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة . والبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكمن من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً لأكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة . وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين .

فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء وقد أثنى الله على الصحابة عليهم السلام فقال : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] . وقال النبي : «أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له»^(٢) .

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٥٣ .

(٢) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٧٦/٢ ، وابن عدي في الكامل ١٢٦/٥ .

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا.

ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع الطعام بين يديه وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام وكأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف، فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: «لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم» ونزلت الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ^(١).

فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من أدب رسول الله ﷺ حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال سهل بن عبد الله التستري: قال موسى عليه السلام يا رب أرني بعض درجات محمد ﷺ وأمه؟ فقال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليلة عظيمة فضله بها عليك وعلى جميع خلقي. قال ^(٢) فكشف له عن ملكوت السماوات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال: رب بما بلغت به إلى هذه الكرامة؟ قال بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأت من جنتي حيث يشاء.

وقال عمر رضي الله عنه: أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه فلم يزل يبعث به إلى الآخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول.

وبات علي كرم الله وجهه على فراش النبي ﷺ فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحكما أطول من عمر الآخر

(١) والحديث أخرجه البخاري (٣٧٩٨).

(٢) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٥٤ المكتبة القيمة.

فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة. فاختارا كلاهما الحياة وأحياها فأوحى الله عز وجل إليهما :
أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين النبي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه
بنفسه ويؤثره بالحياة ؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فكان جبريل عند رأسه
وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله
تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْهَاتٍ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وعن^(١) أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً وكانوا في قرية
قرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤوا السراج
وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام على حاله ولم يأكل أحد منه شيئاً إيثاراً لصاحبه
على نفسه.

وروي أن شعبة جاءه سائل ليس عنده شيء فنزع خشبه من سقف بيته فأعطاه ثم
اعتذر إليه.

وقال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شيء من الماء وأنا
أقول إن كان به رفق سقيته ومسحت به وجهه فإذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلي أن نعم فإذا
رجل يقول آه فأشار ابن عمي لي أن انطلق إليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك
فسمع به آخر فقال : فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا
هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث فأتاه
رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوباً فمات فيه.

وعن^(٢) بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد
فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عالٍ
فقعدنا. فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرون

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٥٥ - المكتبة القيمة.

(٢) المصدر نفسه.

كلباً فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف.

وعليه مما يتقدم في قواعد العرف والشرع فإن البخل يعتبر من المهلكات والسخاء يعتبر من المنجيات ولكن ما هو حد البخل وبماذا يصبح الإنسان بخيلاً وما من إنسان إلا ويعتبر نفسه سخيّاً ويرى غيره بخيلاً. وقد يتصرف إنسان ما في فعل معين فيقول ناس هذا بخيل ويقول الآخرون ليس بخل. ولا يوجد إنسان إلا يوجد في نفسه حب للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فإن كان بصيراً بإمساك المال بخيلاً فلا ينفك أحد من البخل. ولو كان الإمساك مطلقاً لا يوجبه البخل إذاً فما البخل الذي يوجب الهلاك. وما هو حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها. فقول القائلين حد البخل هو منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه ليس بخيل والبعض يعتبر هذا ليس كافياً: أن من يرد اللحم إلى القصاب أو الخبز إلى الخباز لنقصان حبه أو نصف حبه فإنه يعد بخيلاً بالإجماع. وأن من يضايق عياله بالعيش أو في لقمة ازدادوها عليه يعتبر بخيلاً ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه يعتبر بخيلاً.

وقال البعض: إن البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً فاجر فإنه أريد به أن يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب مما فوق ذلك؟ وإن أريد أن يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا؟ وهو ما يستفرك جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب البخل.

والجود قيل عنه هو إعطاء بلا من وإسعاف من غير رؤية وقال آخرون الجود عطاء من غير سؤال على روية التقليل.

وقال البعض الجود هو السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقال آخرون الجود عطاء على رؤية المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر. وقال: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء.

ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود. ومن قاسى الضر وأثر غيره فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل.

كما روي^(١) عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت وأشير إلى حبان ابن هلال فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا العطاء والبذل والإيثار. قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة، قالت: تزيدون على ذلك أجراً؟ قالوا: نعم، قالت: ولم؟ قالوا: لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها. قالت: سبحانه الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه؟ قالوا لها: فما السخاء عندك يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متلذذين متنعمين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء؟ إن هذا في الدنيا لقيح.

وقالت بعض المتعبدات: أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل: ففيم؟ قالت: السخاء عندي في المهج. وقال المحاسبي: إن السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا أجلاً وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله. حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

ورغم ما تقدم من كلام يعتبر غير محيط بحقيقة الجود والبخل. بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الناس. حيث يمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف عليه. ويمكن بذله للصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل. وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل. فالإمساك حيث

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي ص ٨٥٧.

يجب البذل بخل. والإنفاق حيث يجب الإمساك تبذير وما بينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. فالجود وسط بين الإقتار والإسراف وبين البسط والقبض وهو يستطيع بذله وإمساكه بقدر الحالة والواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن القلب طيباً به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصبرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه.

أقوال بعض العلماء في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر :

والبعض يرى^(١) أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير الخوض في تفصيل الأحوال ونذكر هنا بعض ما ذكره في هذا المجال من قبل الحارث المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم. ويعتبر المحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير أن يذكر على وجهه. وقد قال بعد كلام له للرد على علماء السوء «بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنفقوا جلودكم وقلوبكم دنسه. بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبید الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ؟ بحق أقول لكم إن

(١) إحياء علوم الدين - للغزالي المكتبة القيمة.

قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصالح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأبي الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم مهلاً مهلاً ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم إن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشه متعطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أنقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصوله فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوائتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم) ثم قال الحارث رحمه الله: إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله.

وأما فيما يخص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وما ذكر عن ثروته أنه قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها: ما هذا؟ قيل: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف، قالت: صدق رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فسألها. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيًا ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخل معهم حبواً»^(١) فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخل معهم سعيًا.

بلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف «أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبواً»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٤) ولفظه: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً».

(٢) أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف. كما في القول المسدد ٢٤/١.

حمل^(١) إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده: كيف ترى هذا؟ قال: أراه مصيبة أو فقراً، قال: كيف؟ قال: إن كسر كان مصيبة لا جبر لها. وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر. ثم اتفق يوماً أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا. وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله تسوقهم إلى النار، وعدوة أولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها، وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده. وعدوة نفسها، فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس. والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير. فالمال يأكل نفسه، ويضاد ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ إلا بقدر حاجته، ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل. لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل، ولا يحتاج إليه، فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شط النهر إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

(١) إحياء علوم الدين - لأبي حامد الغزالي ص ٨٥٩ - طبعة المكتبة القيمة.